

# الكتب الموازية تطاول على البرامج الرسمية

## اعتبرها المهتمون خليطا بين المقاصد التربوية والأغراض التجارية



(مصطفى الشراوي)

شراء الكتب الموازية يخلط أعياء مالية أولياء أمور التلاميذ خصوصا عند اقتراب الامتحانات

المؤسسات، والتعرف على مدى ملائمتها للأهداف المرسومة لكل سلك من الأسلاك التعليمية، قبل أن تتراكم سلبياتها ويصعب مراجعتها وتداركها في ما بعد.

الأساسية في تكوين شخصية الطفل، ملحا على ضرورة تدخل الجهات المسؤولة عن التربية والتكوين، وبشكل صارم لا يعرف المحاباة، لتتبع ومراقبة المناهج والمقررات والكتب المدرسية والموازية المعتمدة في هذه

المدرس وفي غياب أي مراقبة تربوية تتعلق باستعمال الكتب والأدوات المدرسية. وأوضح المصدر، أن تدريس الرياضيات أو التكنولوجيا يختلف تماما عن تدريس اللغات، لأنها (اللغات) عامل من العوامل

تساعد التلميذ على تقوية معرفته وقدراته، وتعمل على المزيد من تنويره وتثقيفه، سيما مع ندرة الوسائل الديدانكتيكية بالمؤسسات العمومية، مشددا في الوقت نفسه على حسن الاختيار ومراعاة مستوى الفئة الدراسية المستهدفة، مع ضرورة تنوع المصادر المعرفية لإنجاح العملية البيداغوجية داخل الفصل الدراسي الواحد.

لذا، يضيف الشراوي، كان من الواجب أن يكون الكتاب الموازي للكتاب الرسمي، سواء في المواد العلمية أو الأدبية، مدعما وتحت إشراف الوزارة المعنية بالتربية ونظيرتها في الثقافة، ويستجيب لشروط ترسيبها لجن متخصصة تصهر على التصحيح والتدقيق في المفاهيم والمصطلحات المتفق عليها علميا ومؤسسيا، حتى لا تقع في عدم التكامل بينها، أو التسقوط في التناقض المنهجي أو الديدانكتيكي لمحتوياتها.

من جهة أخرى، تحدث عدد من الآباء وأولياء تلاميذ المدارس الخصوصية، التي تنجح أغلبيتها إلى عدم التقيد بالأهداف التي حددتها المنظومة التربوية في تدريس بعض المواد واللغات الأجنبية، واستعمال بعض الكتب غير الملائمة للأهداف المرسومة، ومنح امتيازات للغات الأجنبية على اللغة الوطنية.

وذكر أحد من الآباء، الذين التقههم «الصباح»، أن أغلبية المؤسسات الخصوصية بالمدينة، تعتمد كليا على كتب موازية أجنبية في تدريس اللغات، التي تعتبر مواد حاملة للقيم، ويمكن من خلالها ترميز وتشجيع المتعلم بمنظومة من الأفكار والقيم الدينية والثقافية الغربية عنه، بدون وعي من

مع المقررات المدرسية المعدة. وفي هذا السياق، ذكر (ع.البقالي)، أستاذ وباحث من مدينة طنجة، أن التعامل مع الكتب المدرسية بصفة عامة، الرسمية والموازية، هو إحدى الصور الكثيرة والمتنوعة، التي تظهر بالملموس الحثكة والاحترافية في طريقة خلط الأغراض التجارية بالمقاصد التربوية، وتسخيرها لخدمة المصالح الشخصية.

وقال البقالي، إنه «لمن المؤسف أن يجد المرء نفسه أمام سوق سوداء تتضارب داخلها كل المتوجات التعليمية، خصوصا تقليدية متنوعة إلى بيداغوجية الأهداف ثم إلى مقاربة التدريس بالكفايات، برزت في الأسواق إنتاجات ومقررات مدرسية موازية مختلفة، اتخذت من أهدافها توفير جملة من المعارف والمعلومات المساعدة على فهم مادة من المواد، أو طائفة من التمارين والتطبيقات المختارة، إلى درجة أصبح العديد من المدرسين يعتمدونها ويطلبون بها المتعلمين، حيث أضافت عبءا جديدا للأبناء، وأصبح التلميذ ملتزما بها أكثر مما كان عليه الأمر في السنوات السابقة».

واعتبر عدد المدرسين، نزوح هذا المنتج ومزاحمته للمقررات الرسمية، نوعا من الفوضى العارمة التي يخلط بها الخلل التربوي ببلادنا، وتطاولا سافرا على البرامج والكتب المدرسية، التي داهمتها النظرة الاستهلاكية، وحولت بعدها التربوي والاجتماعي إلى معادلات يتحكم فيها منطق الربح والخسارة، فيما فئنه ذلك آخرون، واعتبروه مرشدا للتلميذ والمدرس على حد سواء، لما له من أهمية بالغة في التزود بالمعارف والتقنيات، وألية المفيدة للتعامل

## مكوار: الكتب الموازية لا تلغي دور الكتاب المدرسي

### مدير دار للنشر قال إن دورها يقتصر على سد الثغرات المعرفية واستكمال نواقصها

قال الناشر فؤاد مكوار إن ظاهرة الإقبال على الكتب الموازية تعرفها جميع الدول تقريبا، ويقبل عليها التلاميذ لتطوير المكتسبات التي تلقوها خلال الدراسة في الفصل، واعتبر مدير دار النشر «العالمية» أن الإقبال على هذه النوعية من الكتب في تزايد مستمر، خاصة بعد الإصلاح التربوي الذي حتم على التلاميذ الاستعداد لكل المواد بدون استثناء. ونفى مكوار أن يكون الهدف من وراء إصدار هذه الكتب تجاريا، لأن الاقتصار على هذا الجانب، في نظره، لا يضمن نجاحها واستمرارها طويلا.

وفي ما يلي نص الحوار:



فؤاد مكوار

● من قبل، كانت المواد العلمية، لكن مع إصلاح المقررات التعليمية وتعديلها ونظام الامتحانات صار لزاما على التلاميذ، باختلاف الشعب التي يدرسون بها، الاهتمام بكل المواد، عكس ما كان سابقا، إذ نجد، مثلا، التلميذ «العلمي» يهتم فقط بالمواد التي لها علاقة بتخصصه ولا يولي اهتماما كافيا لبقيّة المواد خاصة الأدبية، والشيء نفسه ينطبق على التلاميذ الآخرين، بمعنى أن الإصلاح ساهم بشكل كبير في إقبال التلاميذ على الكتب الموازية، على اعتبار أن التلميذ مطالب بالاستعداد لكل المواد.

● ماهي نوعية المؤلفين الذين تتعامل معهم دار النشر؟ وهل تتوفر على لجنة للقراءة والتأليف؟

● بالنسبة للبنا في «الدار العالمية»، نتعامل مع مؤلفين في المجال التربوي، أغلبهم سبق لهم أن حازوا على جوائز تقديرية، أو تنويهها من طرف وزارة التربية الوطنية، وأكد أن هناك لجانا للقراءة والتأليف وعادة وما تكون هذه اللجان مختلطة تضم في عضويتها مفتشين ورجال تعليم ومختصين في شؤون التربية، يتفقون بعناية.

● يقال إن الهدف من وراء إصدار هذه الكتب تجاري وليس تربوي، ما تعليقكم على الأمر؟

● أود أن أشير إلى مسألة أساسية، وهي أن مهنة «النشر» هي في الأول والأخير رسالة نبيلة، ونحن نسعى، باعتبارنا ناشرين، أن نضع نصب أعيننا الأهداف التربوية والتعليمية قبل كل شيء، وهذا لا يمنع أن يكون هناك ربح مادي، فالسالتان، في تقديرنا الخاص، لا تتعارضان، إذ أن العلاقة بين التجاري والتربوي جدلية، فالربح المادي يساعد أيضا على تطوير أداء دار النشر ودليل على نجاحها، لأنه لا يمكن أن تسوق منتوجا رديئا وتنجح من ورائه.

أجرى الحوار: عزيز المجدوب

● ما هي القيمة المضافة للكتب الموازية، بالنسبة إلى الدروس التي يتلقاها التلميذ داخل الفصل؟

● يبدو لأول وهلة أن المؤهل لإجابة على هذا السؤال هم رجال التعليم، لكن الناشر بدوره معنى بهذا السؤال بشكل أو بآخر، وله علاقة بهذا الموضوع، نظرا للخبرة والتجربة التي يكتسبها الناشرون مع مرور الوقت من خلال تعاملهم المباشر مع إدارة التعليم وكافة المهتمين بالخلل التربوي. وبالنسبة إلى الكتب الموازية، يمكن القول إنها توجد في جميع الدول تقريبا، وتسمى عادة إما بكتب الدعم أو كتب التوجيه، أو الكتب الموازية، ومن خلال هذه التسميات يتبين الهدف من وراء إصدارها، فاهمية هذه النوعية من الكتب تكمن في أنها تعمل على ترسيخ المعلومات لدى التلميذ، وتعمل كذلك على تثبيت المعارف الخاصة بالمقررات الدراسية، إضافة إلى مساعدة المتعلم على تنمية مهاراته التعليمية العلمية، بما ينسجم مع الأهداف التربوية التي تضعها وزارة التربية الوطنية، فضلا عن تمكن التلميذ من التمرن على وضعات اختبارية التي تؤهله لمواجهة مختلف الوضعات الاختبارية، سواء خلال المراقبة المستمرة أو الامتحانات الوطنية الجوهية والموحدة.

● ما الذي يمكن أن يجده التلميذ ضمن هذه الكتب حتى تكسبه المهارات والتقنيات التي ندرتها؟

● تشتمل الكتب الموازية، عادة، بحسب اختلاف المقررات والمواد على ملخصات مختلف الدروس التي تم تركيزها على المعارف الأساسية، وكذا أسئلة الاختيار التي تتيج إمكانية الوقوف على المكتسبات المعرفية للتلميذ، إضافة إلى مواضيع تتلامم ومقتضيات البرنامج الدراسي، وتغطي معطيات

## مدير تربوي: المطبوعات الموازية نصب على التلاميذ

ويؤكد بعض رجال التعليم أن نسبة مهمة من تلك الكتب الموازية التي «تغيب روح البحث لدى التلميذ لتطوير قدراته التعبيرية حتى يستطيع التعبير عن مواقفه تجاه قضايا تتصل بوجوده الفردي والجماعي»، هي سطو على مجهودات الأساتذة الذين يطالبون بمناجح لأسئلة الامتحانات سرعان ما يفاجؤون بها في كتب معروضة للبيع وألغزها ليسوا سوى موظفين أو مقرئين من الأكاديميات الجوية للتربية والتكوين.

وأصبح إقبال التلاميذ والتلميذات على الكتب الموازية التي يبرأ مصدر نقابي «تتبع تحقيق الأهداف النواتية من التعلم المتحركة حول غاية أساسية تتجسد في تكوين مواطن محتاج قادر على إبداء رأيه والدفاع عنه»، ظاهرة ملفتة للانتباه خاصة إبان الإعداد والتهيء لامتحانات، ما «يفرض التساؤل عن سسر تفضيل التلاميذ لاختيار هذا «الحل» و«شروط إمكانية تجاوز هذا الواقع» يؤكد أستاذ مادة الرياضيات.

وتحدث بعض رجال التعليم، عن وجود تراجع في القيم المشجعة على العمل والاجتهاد خاصة في المؤسسة التعليمية العمومية التي تعتبر «مكونا من مكونات المجتمع وامتدادا لدور الأسرة في تنشئة الأفراد»، بحكم تأثرها بمنظومة القيم السائدة على صعيد المجتمع، إذ «تحولت المؤسسات التعليمية إلى فضاء بعيد إنتاج الاختلالات السلوكية والانحرافات الحتمية عوض أن تكون أداة لتقويم هذه الانعوجات».

الأخطر من ذلك أن بعض مؤلفي تلك الكتب الموازية، يعنون إلى الإشارة فيها إلى أن إعدادها تم وفق البرامج والنماذج الجديدة لوزارة التربية الوطنية التي «قد لا تتدخل في هذا الأمر أو يكون لها علم بذلك أحيانا»، ما يطرخ إشكاليات تربوية وقانونية خاصة في غياب مذكرات وزارة تنظيمية في الموضوع ما يشوش على عمل المدرسين والإجراءات الرسمية للتفتيش المختص المكلف بتحديد المقررات وفق منطوق المذكرات الوزارية. وإن كانت مختلف التقييمات التربوية للظاهرة، تشير في اتجاه تأكيد ضرورة ترشيح التأليف الموازي، فإنه يجب أن يراعى «تنمية الإحساس بالمسؤولية لدى التلميذ، إذ أن الامتحان هو حصيلة سنوية لعمله وليست نتيجة سوى الخلاصة النهائية والمباشرة لعمله طبقا لسنة دراسية»، وتنمية النقد الدراسي لدى التلميذ ليكون قادرا على العودة إلى ذاته والتساؤل حول منهجية اشتغاله وأسلوب عمله لتصحيح ممارساته التعليمية باستمرار عوض اختيار الطول «الجاهز».

ويستدعي الأمر، التحقيق من الكم الدراسي المقرر لأنه لا يتناسب في الغالب مع زمن الإجازة ما «يجعل المدرس غير قادر على التواصل الإيجابي مع التلميذ في الوقت الذي لا يتم إيلاء الوحدات المقررة ما تستحقه من أهمية ما يؤدي إلى التسطيط والإنقار العرفي للموضوعات المقررة»، لأن المدرسة مطالبة بلعب دورها في إشباع قيم الاجتهاد والاستحقاق وتمجيد العمل وترسيخ روح المسؤولية، عوض الخمول واستهلاك الجاهز.

حميد الأبيض (فاس)

# كتب تجارية موازية تجسد فوز سوق التأليف

### تضليل دور الدعم التربوي بالمؤسسات التعليمية للرفع من مستوى التلاميذ

اجتياز الامتحانات الإشهادية، إلى غياب رؤية موحدة تقارب منظومة التعلّمات ببعابير محددة على الصعيد الوطني، تستحضر عنصر الجودة بداية من وضع أسئلة الامتحانات وانتهاء بعملية التصحيح.

لذا، يضيف المصدر ذاته، أن إرساء منظومة الامتحانات الإشهادية بمختلف الأسلاك التعليمية الثلاثة كما حددها الميثاق الوطني للتربية والتكوين كغاية بوضع حد للفوضى التي تعترى سوق تأليف الكتب الداعم لتقرب المتعلمين، في غياب حصص الدعم التربوي التي تقرب المسافة بين التلاميذ النجباء وبين آخرين متعثرين دراسيا.

في هذا السياق، يؤكد مفتش جهوي بالأكاديمية، أنه تم إقرار أطر مرجعية وطنية خاصة بكل مادة من المواد المعنية بالامتحانات المدرسية الإشهادية مع الشروع في تقيت إجراء الامتحانات وتحديد مساطر التصحيح واعتماد اليات وطنية لمراقبة جودة إنجاز مختلف العمليات المذكورة، وذلك في سياق العمل على إرساء نظام الامتحانات على أساس تعاقدي ملزم للأطراف المعنية مع اعتماد معايير محددة وموحدة تضمن للمترشح حق الإنصاف وتحقق مبدأ تكافؤ الفرص.

سعيد فاتح (بني ملال)

التي تعتبر حافزا حقيقيا لتطوير معارفهم وشحن ذواتهم بالاعتماد على المقومات الذاتية وكذا صقل مواهبهم الفردية.

وبموازاة مع التطور الذي يشهده مجال المعلومات، وفي ظل انجذاب التلاميذ إلى فضاءات الإنترنت الذي تسترعي اهتمام التلاميذ من مختلف الأعمال، وفي ظل غياب قوانين زجرية صارمة من لدن وزارة التربية والتكوين للحد من جشع الملتاعين بصير التلاميذ عبر استغلال منظومة التعليم لتحقيق أهداف تجارية، تفنقت موهبة مؤسسة تجارية، مؤخرا، عرضت خدماتها على التلاميذ عبر الإنترنت مقابل مبالغ مالية لحلول المسائل الرياضية المقترحة، وبالفعل أبدى مجموعة من التلاميذ رغبتهم الجارحة في الاستفادة من خدمات هذه المؤسسة التي راهنت على ربح مادي سريع يستخلص لا محالة من جيوب آباء وأولياء التلاميذ الذين اکتوتوا بنار المؤسسات التعليمية الخاصة، وكذا ضغط الساعات الإضافية التي لا يتورع العديد من الأساتذة في تقديمها لتلاميذ أقسامهم مقابل مبلغ مادي.

وعزت مصادر تربوية أسباب الفوضى التي تعترى سوق التأليف، ما سمح ببروز كتب تجارية تطرح حلولاً جاهزة للمتعلّمين بمختلف أسلاكهم سيما المقبلين على

التجارية مستغلة الفوضى العارمة التي يشهدها مجال التأليف، ما ساهم في قتل ملكة الإبداع لدى التلاميذ بتقديمها حلولاً جاهزة لكل المسائل الرياضية والفيزيائية وعلوم الحياة والأرض وكذا كل المسائل اللغوية (عربية وفرنسية) التي تتطلب استحضارا نهديا متقددا.

وتؤكد شهادات مشرفين تربويين بجهة تادلة، أن الآباء وجدوا أنفسهم مرغعين على اقتناء هذه الكتب التجارية التي لا تخضع في تأليفها للمعايير التربوية التي تستحضر مبدأ الكفايات والجودة التربوية، وتجعل المتعلم في مواجهة مباشرة لكل المشاكل المعرفية التي تعترضه، في حين أن الكتب التجارية الموازية تقدم حلولاً جاهزة لكل التمارين الرياضية في غياب أية منهجية واضحة يستند إليها المتعلم كأرضية صلبة لإيجاد حلول لمسائل رياضية أكثر تعقيدا.

ونظرا للجاهزية للحلول التي تقتريها الكتب التجارية التي عزت سوق الكتاب المدرسي، يضيف مشرف تربوي، يستأنس المتعلمون بالطريقة اللاتربوية التي يسلكها مؤلفو الكتب التجارية التي تقتصر في منطلقها لأية رؤية تربوية أو نظرية فلسفية معروفة، ما يعرض مستقبل التلاميذ إلى الخطر، إذ يجدون أنفسهم عاجزين عن مواصلة تحصيلهم لأنهم قتلوا موهبة الابتكار والإبداع

حصص الدعم التي تكلفهم مصاريف إضافية تقتض من معيشتهم اليومي لاقتناء كتب موازية تلبى حاجيات ورغبات التلاميذ المتزايدة بهدف إشباع نهمهم المعرفي؟ لا تلبى البرامج والكتب المعتمدة في مختلف الأسلاك التعليمية من قبل الوزارة الابتدائي والإعدادي والتأهيلي)، حسب شهادات بعض الفاعلين التربويين، طموحات التلاميذ المعرفية بعد أن تغير مسار التعليم في بلادنا، وتحول من مجال للإبداع والابتكار إلى مجال للتنميط والتعلب، واستحالة الممارسة الصعبة صكوكا تجارية يتحكم في خيوطها سدة حولوا المدرسة المغربية إلى فضاءات تجارية خاصة لترويج العملة الصعبة وتراكم الأرباح، مقابل تفكير وتزجوع التلاميذ معرفيا بعد تحويلهم إلى آلات تبضض أوراقا نقدية يتم سحبها عند نهاية كل شهر.

وفي ظل الفوضى التي تشهدها ساحة تأليف الكتاب المدرسي في مختلف الأسلاك التعليمية، وفي غياب قوانين صارمة تستحضر العواقب الديدانكتيكية وكذا الاستيمولوجية التي تحول دون تكوين رصين يساهم في ترسيخ معرفة علمية لدى المتعلمين في أفق تأهيلهم ودمجهم في سوق الشغل، وإعدادهم لمواجهة المشاكل التي تعترضهم في الواقع الحي، انتعشت سوق الكتاب

في سياق تلبية مطلب تحسين جودة المردودية التربوية التي تشهد انتقادات لاذعة من طرف الفاعلين وكذا الشركاء التربويين الذين ذقوا ناقوس الخطر بعد تربي مستويات التلاميذ المعرفية، الكتب وزارة التربية الوطنية، في السنوات الأخيرة، على إصلاح مجال التقويم التربوي لدعم وتطوير الإنجازات لتجاوز النقصان ذات الطابع الشخصي طالت إنجازات البرامج والمناهج والكتب المدرسية ومهام وأنوار بعض الفئات العاملة بالقطاع، وكذا مردودية المؤسسات التعليمية وزمن التعلم وظروف التعليم بالمؤسسات، إضافة إلى مجال التعلّمات والمكتسبات الدراسية.

ورغم ورشات الإصلاح التي تشهدها منظومة التربية والتكوين، لم يخف بعض المشرفين على منظومة التربية والتكوين ارتياحهم من النواقص التي مازالت تعترى جودة المناهج التربوية التي لم تقفز، رغم سلسلة الإصلاحات التي باشرتها الوزارة، إلا مزيدا من الخيبة في الأوساط التعليمية ولدى آباء و الآباء التلاميذ الذين يؤكدون تراجع مستوى أبنائهم سنة بعد أخرى، رغم